المرأة في المصادر النصية والأثرية في شبه الجزيرة العربية إلى القرن الأول قبل الميلاد *

أ.د. علاء الدين عبد المحسن شاهين

أستاذ تاريخ وحضارة مصر والشرق الأدنى القديم ، وعميد كلية الآثار الأسبق، جامعة القاهرة، جمهورية مصر العربية.

عكست بعض المصادر النصية والأثرية مكانة مميزة للمرأة في حضارات شبه الجزيرة العربية القديمة إلى القرن الأول قبل الميلاد تمثلت في شغلها مناصب سياسية ودينية وكانت لها بالمثل مكانة اجتماعية ملموسة مما سوف يتم تناوله خلال ورقة البحث الحالية.

أولا: مكانة المرأة السياسية في حضارات شبه الجزيرة العربية :

عكست النصوص المسمارية علاقات للحضارة الآشورية مع بعض القبائل ودويلات المدن في شمال غرب شبه الجزيرة العربية منذ القرن التاسع قبل الميلاد وهي أقدم المصادر التي سجلت تسمية العرب كتابة، وأيضاً في تضمنها لإشارات إلى ست ملكات عربيات ظهرت خلال القرن الثامن والسابع قبل الميلاد. وكانت دومة الجندل (أدوماتو) عاصمة لعدد من الملكات العربيات مثل: تلخونو وتبؤه أو تادبو. وأشير إلى الملكات الأخريات بالاسم مثل زبيبة وسمسي (شمس)[1] وايايني. وقد أشير إلى هؤلاء الملكات بعبارات عامة كملكات عربيات (ملكة العربية) دون تسمية عاصمتهن[2].

(*) ورقة البحث الحالية تم المشاركة بها كموضوع ضمن أعمال مؤتمر تاريخ الوطن العربي عبر العصور: المرأة العربية عبر عصور التاريخ، اتحاد المؤرخون العرب بالقاهرة ، ٧- ٨ ديسمبر ٢٠١١م.

(١) عبد الوهاب، لطفي، العرب في العصور القديمة، دار المعرفة الجامعية، ٢٠٠٣م، ص ٣٦٠ .

(٢) سليم، أحمد أمين، **جوانب من تاريخ وحضارة الجزيرة العربية**، ص ٣٠٢؛ صالح، عبد العزيز، **تاريخ شبه الجزيرة العربية في عصورها القديمة**، مطبعة جامعة القاهرة والكتاب الجامعي، ١٩٨٨م، ص ١٣٦؛ مهران، محمد بيومي، **تاريخ العرب القديم**، دار المعرفة الجامعية بالإسكندرية، ١٩٩٣م، ص ٢٦؛ عبدالوهاب، لطفي، «الوضع السياسي في شبه الجزيرة العربية حتى القرن الأول الميلادي»، **دراسات في تاريخ الجزيرة العربية، الكتاب الثاني : الجزيرة العربية قبل الاسلام**، الرياض، ١٩٧٩م، ص ٩٥؛ شيبمان، كلاوس، **تاريخ الممالك القديمة في جنوبي الجزيرة العربية**، ترجمة: د.فاروق اسماعيل، مركز الدراسات والبحوث اليمني، صنعاء، ٢٠٠٢م، ص ٧٣.

وحفظت لنا نصوص تجيلات بليسر الثالث (تجلا بثليزر الثالث)(٧٤٤- ٧٢٧ ق.م) أنه قتل (ربما قصد غنم) من الملكة سمسي (ربما تحريفا عن شمس) ملكة أرابيا (بلاد العرب) ٣٠ ألف جمل[١] والتي ينبغي الحذر في التعامل مع حرفية النص الذي لا يعنى أكثر من كونها رئيسة لقبيلة أو عدد من القبائل المتحالفة على أكثر تقدير وبالمثل الحذر في المبالغة اللفظية في رقم ٣٠ ألف من الابل أيضاً. ومن الجدير بالإشارة تصوير الفنون العراقية لأحداث ذلك التصادم العسكري للآشوريين وممالك شمال غرب شبه الجزيرة العربية، ومدىالتعبير الفني في تصوير السيادة الآشورية خاصة ما ارتبط بتصوير امرأة بثوب كاس تسير باكية تلطم وجهها بكفها أو تستره خجلا بكفها وتمسك باليد الأخرى جرة كبيرة، ويعقبها عدد من نياقها. وليس من المستبعد أنهم أرادوا أن يرمزوا بها إلى الملكة شمس نفسها وإلى عجزها واستسلامها وعودتها إلى رعاية الابل، أو انصياعها وشعبها لنفوذ الملك الآشوري الذي قال في نص عنها: «ولما أدركت قوة بطشي أتت إلى بالإبل والنوق»[٢].

وورد ضمن حوليات تجيللات بليسرالثالث (تجلا بثليزر)التي عثر عليها في كالح بعض إشارات إلى جزية زبيبة (زبيبي) ملكة بلاد العرب فضلا عن نص آخر تحدث فيه الملك: أما شمسي (سمسي) ملكة بلاد العرب، التي حنثت بيمين شمس.... فقد أصبحت خائفة من قوة جيشي، وأرسلت لي جمالاً ونياقًا، ثم عينت موظفاً من لدني هناك[٣]. ويبدو أن شمسي قد نقضت الولاء لآشور، ومن ثم رأينا سرجون الثاني (٧٢٢- ٧٠٥ ق.م) يتفاخر بتلقيه جزية من بيرو صاحب موصري ومن سمسي ملكة بلاد العرب، ومن أتعمارا (يثع أمر) السبئي تبراً وخيلاً وجمالاً[٤].

(١) عبدالوهاب، لطفي، **العرب في العصور القديمة**، ص ١٥٦، ٣٦٠؛ صالح، عبد العزيز، **تاريخ شبه الجزيرة العربية**، ص ١٣٧؛ نفسه، **المرأة في النصوص والآثار**، ص ٤٨؛ ترسيسي، عدنان، **بلاد سبأ وحضارات العرب الأولي اليمن (العربية السعيدة)**، الطبعة الثانية، دار الفكر، دمشق، ١٩٨٠م، ص ٧٣.

(٢) صالح، عبد العزيز، **تاريخ شبه الجزيرة العربية في عصورها القديمة**، ص ١٣٨؛ صالح، عبد العزيز، **المرأة في النصوص والآثار**، ص ص ٤٨- ٤٩؛ عباس، احسان، و أبوطالب، محمود، أوراق في تاريخ بلاد الشام – ١- شمال الجزيرة العربية في العهد الآشوري، منشورات لجنة تاريخ بلاد الشام، الجامعة الأردنية - جامعة اليرموك، عمان، ١٩٩١م، ص ٤.

(٣) مهران، محمد بيومي، **تاريخ العرب القديم**، ص ١٤٤؛ صالح، عبد العزيز، **الشرق الأدنى القديم. الجزء الأول: مصر والعراق**، الهيئة العامة لشئون المطابع الأميرية، القاهرة ١٩٦٧، ص ٥٣٠؛ شاهين، علاء الدين، تاريخ **الخليج والجزيرة العربية القديم**، الكويت، ١٤١٨هـ / ١٩٩٧م، ص ٢٧٩-٢٨٠.

(٤) مهران، محمد بيومي، **المرجع السابق**، ص ١٤٤؛ نفسه، «دراسة حول العرب وعلاقاتهم الدولية في العصور القديمة،»، **مجلة كلية اللغة العربية والعلوم الاجتماعية**، العدد السادس، (١٣٩٦ه / ١٩٧٦م)، ص٣٤٠.

ونعلم أن ملكة العرب تلخونو (تعل خونو) (ربما تحريفا عن تلهونة) امتد ملكها من دومة الجندل وحتى حدود بابل، ووقفت بجانب الثورة ضد سنحاريب (٧٠٤- ٦٨١ ق.م). وتحالفت مع من ذكرته النصوص الآشورية باسم خزا إيلي (أو حزائيل) ملك قبائل قيدار المجاورة لأرضها في منطقة الجوف، وعهدت له بقيادة جيشهما المشترك ضد الآشوريين، والذي حال تمكن سنحاريب من القضاء على الثورة اتجه إلى أدوماتو (دومة الجندل) وفرض الحصار عليها، مما أدى إلى استسلام الملكة، وقام بأسر الأميرة تاربو (تـبؤة)، وأخذها إلى العاصمة الآشورية تمهيداً لاعدادها لتكون ملكة على قومها تعمل بأمر آشور وتنفذ سياسة ملوكها[١] في سياسة شبيهة لما طبقه من قبل تحوتمس الثالث أحد أعظم فراعنة عصر الدولة الحديثة وباني الامبراطورية المصرية. وقد أشارت نصوص سنحاريب إلى أنه غنم من ملكة عربية ألف جمل فقط [٢].

وعكست النصوص الآشورية أيضاً معاملات سياسية بين الملك أسرحدون (٦٨٠- ٦٦٩ ق.م) وبين ملكة عربية أخرى هي اسكلاتو[٣]. كما نعلم عنه أيضاً قيامه بتعيين الملكة العربية تاربوا (تبؤة) التي نشأت في قصر أبيه سنحاريب ملكة على العرب[٤].

كذلك تظهر بعض هذه الملكات مع أزواجهن الملوك مثل عادية ياتع والتي بعد هزيمة قوات جيش زوجها من قبل آشور بانيبال واضطرار زوجها للفرار، أن تصدت هي لآشور بانيبال التي عكست نصوصه هزيمته لها بعد معركة دامية وقبضه عليها حية، وأخذها أسيرة إلى بلاد آشور مما يستنبط منه ما قامت به تلك المرأة من دور سياسي هنا ليس بصفتها كزوجة ملكية بل كملكة مارست السلطة بالفعل[٥].

ومن الجدير بالذكر أيضا أن مكانة المرأة في حضارة الأنباط كانت ملموسة حيث

(١) سليم، أحمد أمين، **المرجع السابق**، ص ٣٠٢؛ مهران، محمد بيومي، **تاريخ العرب القديم**، ص ١٤٤؛ ص ٤٨٨؛ صالح، عبد العزير، **تاريخ شبه الجزيرة العربية في عصورها القديمة**، ص١٣٨؛ عباس، إحسان و أبو طالب، محمود، **المرجع السابق**، ص ٩.

(٢) يحيي، لطفي عبدالوهاب، **المرجع السابق**، ص ١٥٦؛ مهران، محمد بيومي، «**دراسة حول العرب وعلاقاتهم الدولية في العصور القديمة**»، ص ٣٤٣.

(٣) يحيي، لطفي عبدالوهاب، **المرجع السابق**، ص ٣٦١؛ صالح، عبدالعزيز، **المرأة في النصوص والآثار**، ص٥١.

(٤) يحيي، لطفي عبدالوهاب، **المرجع السابق**، ص ٤١٢؛ مهران، محمد بيومي، **المرجع السابق**، ص ٣٤٥.

(٥) يحيي، لطفي عبدالوهاب، **الوضع السياسي في شبه الجزيرة العربية حتى القرن الأول الميلادي**، ص ٩٥.

صورت بعض زوجات ملوك الأنباط وأمهاتهم وجوههن مع وجه الملك على العملة أحياناً (شكل رقم ١)، بل ونعلم عن الملكة شقيله الثانية استمرارية سك العملة باسمها وحدها حتى وفاة زوجها[١].

كما حملت بعض النسوة من الحضارة النبطية لقب ملكة النبط وربما يوحي ذلك باحتمال اشتراكهن في شئون الحكم والسياسة إلى حد ما، وميزت منهن ما لا يقل عن خمس ملكات. كما وجد العديد من النقوش تبين مكانة المرأة في المنطقة[٢]. وعكس نص نبطي مؤرخ من العام الخامس والأربعين من عهد الملك الحارث الرابع (٩ ق.م – ٤٠م) عن تمتع الزوجة بأهلية الملك الفردي دون فرض ولاية الزوج بالضرورة عليه، بل وزاد نصيب الزوجة عن نصيب زوجها[٣].

وحفظت لنا النصوص اليمنية دليلاً آخر على تولي المرأة للمنصب السياسي كحاكم (هنا ملكة) خلال عصر الحضارة السبئية مثلما انعكس في أحداث قصة ملكة سبأ، المعروفة اصطلاحاً باسم بلقيس والمعاصرة سياسيا لفترة حكم سليمان عليه السلام من القرن العاشر قبل الميلاد (٩٧٠- ٩٣٧ ق.م)[٤]. كما ورد في القرآن الكريم إلى أن الملكة كانت تلجأ إلى استشارة الملأ من أهلها حينما تواجه بأمر تحتاج فيه إلى الرأي والمشورة. وتشير الآيات الكريمة من القرآن الكريم (سورة النمل، الآيات ٢٩-٣٣) إلى أن ملكة سبأ عندما تلقت رسالة سليمان عليه السلام أسرعت لطلب المشورة[٥].

(١) صقر، فايزة محمود، «احوال المرأة في شمال غرب الجزيرة العربية منذ القرن الثامن ق.م»، بحث تم القائه ضمن أعمال **المؤتمر الدولي الأول لمعهد حضارات الشرق الأدنى القديم**، جامعة الزقازيق؛ صالح، عبدالعزيز، المرأة في النصوص والآثار العربية القديمة (من تراث الخليج وشبه الجزيرة)، **مجلة دراسات الخليج والجزيرة العربية**، جامعة الكويت رقم ١٤، الكويت، ١٩٨٥م، ص ٢٦؛ شكلي ٤٩-٥٠؛ الفاسي، هتون أجواد، «ملكات الأنباط: دراسة تحليلية مقارنة»، **أدوماتو**، ع ١٦، يوليو ٢٠٠٧م، ص ص ٢١-٢٢.

(٢) صقر، فايزة، **المرجع السابق**؛ خريسات، محمد عبدالقادر، وآخرون، **محاضرات في تاريخ الأردن وحضارته**، مؤسسة حمادة للخدمات والدراسات الجامعية، الأردن، ٢٠٠٠م، ص٦٣؛ الفاسي، هتون أجواد، **المرجع السابق**، ص ٢١- ٢٢.

(٣) سليم، أحمد، **جوانب من تاريخ وحضارة العرب في العصور القديمة**، دار المعرفة الجامعية، ١٩٩٨م، ص ٢٥٧.

(٤) مهران، محمد بيومي، **تاريخ العرب القديم**، ص ٢٦٧؛ يحي، لطفي عبدالوهاب، «الوضع السياسي في شبه الجزيرة العربية حتى القرن الأول الميلادي»، **دراسات في تاريخ الجزيرة العربية، الكتاب الثاني: الجزيرة العربية قبل الإسلام**، الرياض، ١٩٧٩م، ص ٩٢، نفسه، العرب في العصور القديمة، ص ٣.

(٥) سليم، أحمد أمين، **جوانب من تاريخ وحضارة الجزيرة العربية**، ص ٣٠٠-٣٠١؛ عبدالوهاب، لطفي، **المرجع السابق**، ص ٣٦٠. يذهب البعض للمناداة بأن سبأ المقصود بها ليست دويلة المدينة المعروفة ضمن دويلات جنوب غرب شبه الجزيرة العربية (اليمن)، ولكن تلك المستوطنة بنفس الاسم على الطريق التجاري الدولي بين بلاد الشام واليمن في حواف شمال غرب شبه الجزيرة العربية (الحجاز). راجع لطفي عبدالوهاب، **العرب في العصور القديمة**، ص ٣٦٠؛ صالح، عبدالعزير، **تاريخ شبه الجزيرة العربية في عصورها القديمة**، مطبعة جامعة القاهرة والكتاب الجامعي، ١٩٨٨، ص ٤٦؛ شيبمان، كلاوس، المرجع السابق، ص ص ٧٣-٧٤.

حيث ورد على لسانها أنها: ﴿ قَالَتْ يَٰٓأَيُّهَا ٱلْمَلَؤُا۟ أَفْتُونِى فِىٓ أَمْرِى مَا كُنتُ قَاطِعَةً أَمْرًا حَتَّىٰ تَشْهَدُونِ ﴿٣٢﴾ ﴾ ولعل هذا ما يشير إلى ما حفظته لنا النصوص اليمنية من وجود ما يوازي مجلس الشورى بمفهومنا المعاصر عرف باسم هيجل (جبل/ الجبل). ووصف المجلس بـ : العالي الشأن. واستند الحاكم كثيراً على رأي أعضائه[١].

وقد اجتهد المؤرخون في تحديد زمان ملكة سبأ واسمها، حيث أطلق عليها اسم بلقيس وأنها كانت السادسة في ترتيب ملوك سبأ، وأنها هي بنت إل يشرح يحصب الملك الخامس بين ملوك سبأ وريدان، أو هي بلقيس بنت ذي شرح بن ذي جدن بن ايلي يشرح بن الحارث بن قيس بن صيفي بن سبأ بن يشجب بن يعرب بن قحطان. وهي أيضاً بلقيس ابنة الهدهاد بن شرحبيل[٢]. ولم يعثر المنقبون على اسم بلقيس في النقوش اليمنية المكتشفة حتى الآن. وهناك احتمال بأن اسم بلقيس منقول عن العبرية التي نقلته اليونانية وهو بلجش، ومعناه الفتاة الجميلة أو الأمة الحسناء[٣].

ثانياً: المناصب المحتملة للمرأة في العقائد القديمة لشبه الجزيرة العربية:

عرف اليمن القديم تقديس آلهة الأمومة ، وذلك من خلال العثور على عدد كبير من التماثيل الآدمية النسائية المصنوعة من الطين المحروق (التراكوتا). وقد انتشرت في عدد كبير من مناطق اليمن في عصر ازدهار الممالك اليمنية القديمة، وتمثلت بشكل واضح في منطقة وادي الجوف الذي ازدهرت فيه مملكة معين، وظهرت المعتقدات في ذلك النوع من التماثيل في تضخيم أماكن الاخصاب في التمثال مثل الثديين والفخذين (شكل رقم ٢)[٤]. وكانت توهب للمعابد بقصد طلب الخصوبة الآدمية والحيوانية وتخدم بعض الاحتياجات الانسانية. وعثر على نماذج منها في معبد الإله المقه المسمى برأن بالقرب من مأرب العاصمة السبئية (شكل رقم ٣)[٥].

---

(١) سليم، أحمد أمين، **جوانب من تاريخ وحضارة الجزيرة العربية في العصور القديمة**، دار المعرفة الجامعية بالإسكندرية، ٢٠٠٥م ، ص ص ٣٠٠- ٣٠١؛ يحيي، لطفي عبدالوهاب، **الوضع السياسي في شبه الجزيرة العربية**، ص ص ٩٣-٩٤.

(٢) سليمان، مصطفي محمود، **رحلة في أرض سبأ**، سلسلة الألف كتاب الثاني، الهيئة المصرية العامة للكتاب، ٢٠٠٢م، ص ١٥٠؛ مرسي، محمد، **أضواء على مملكة سبأ**، حوليات كلية الآداب، جامعة الكويت، الحولية التاسعة، الرسالة التاسعة والأربعون ١٤٠٨هـ / ١٩٨٧م.

(٣) سليمان، مصطفي محمود، **المرجع السابق**، ص ١٥١.

(٤) العريقي، منير عبدالجليل، **الفن المعماري والفكر الديني في اليمن القديم (من ١٥٠٠ ق. م حتى ٦٠٠ ميلادية)**، مكتبة مدبولي بالقاهرة، ٢٠٠٢م، ص ٣٧؛ شكل رقم ٣.

(٥) العريقي، منير عبدالجليل، **المرجع السابق**، ص ٣٧؛ لوحة ٥.

وهناك من شغلت الكهانة أو العرافة ومارست السحر في شبه الجزيرة العربية[١]. كما نسب لإحدى هؤلاء النسوة الخمس اللائي حكمن في منطقة أدوماتو كهانة معبودتها الكبرى دلبات، مما يعنى بدوره أن حكم هؤلاء النسوة اعتمد على تقاليد دينية جعلت رياسة الكهنوت لكبريات نساء الأسرة المالكة وسمحت لهن بوراثة الحكم واحدة بعد الأخرى أو بنتاً بعد أمها[٢].

وعكست بعض النصوص ما يدل على وجود نسوة لسن بالضرورة زوجات ملكيات، خاصة حال ارتباطهن بلازمة محددة هي تماثيل آلهتهن، مثلما أشار حزائيل في استعطافه للملك أسرحدون الذي أشار فيه لأسرحدون أن أباه سنحاريب سبق أن غزا مدينة أدوماتو وأخذ منها تماثيل آلهتها واسكالاتو Iskallatu ملكة العرب، وأخذ الملكة وتماثيل آلهتها، ونقلها إلى آشور، وحال استجابة أسرحدون له أعاد التماثيل لكنه لم يعد الملكة اسكالاتو، وإنما بعث بامرأة أخرى أصلها من أدوماتو ولكنها شبت في القصر الآشوري هي تاربوا Tarbua ومعها تماثيل آلهتها وعينها ملكة على المدينة بجوار حزائيل[٣]. ويستنبط من ذلك وفقا لـ :لطفي عبد الوهاب يحيي أن بعض النسوة اللاتي يرد ذكرهن تحت اسم ملكات كان لهن في الواقع دور آخر في المدن التي تضم التجمعات القبلية لا يرتبط بالمعنى التقليدي لهذه التسمية تجسد في التوجيه الروحي أو الديني لتلك التجمعات[٤].

ويؤكد وجود هذا الدور الديني للمرأة نقش ثمودي يشير إلى امرأة مهمتها التوجيه أو الارشاد إلى الطريق السوية مما يعكس كونها كانت كاهنة[٥]. وقد تدعم مثل هذا الرأي من خلال بعض النقوش اللحيانية (المنتمية لدولة ددان ولحيان وعاصمتها العلا) لنساء كن يقمن بهذا الدور، وحملن لقب أفكلة و أفكلت (وفقا لنطق عبد العزيز صالح). وقد وجد من الملكات اللحيانيات من كن يحملن هذا اللقب مثل الملكة تي ايلحينو بنفس

(١) صقر، فايزة، **المرجع السابق**، ص٦٣.

(٢) صالح، عبد العزيز، **تاريخ شبه الجزيرة العربية في عصورها القديمة**، ص ١٣٧؛نفسه، **المرأة في النصوص والآثار**، ص ٥٢-٥٣.

(٣) يحيي، لطفي عبدالوهاب، **الوضع السياسي في شبه الجزيرة العربية حتى القرن الأول الميلادي**، ص ٩٥.

(٤) يحيي، لطفي عبدالوهاب، **المرجع السابق**، ص ٩٥.

(٥) يحيي، لطفي عبدالوهاب، **المرجع السابق**، ص ٩٥.

مضمون رشو / رشوت، السادن، الكاهن / الكاهنة[١].

ومن عهد ورو إل غيلان يهنعم تضمن نص لامرأة تدعي برت تذكر فيه تقدمتها إلى ذات حميم عشتر بعل تمثالا من ذهب في صورة امرأه تقرباً إلى الآلهة، ووفاءً لما في ذمتها للإله عم ذربحو. ويبدو أنها كانت كاهنة لمعبد الاله عم في ريمت، مما عكس تولي المرأة في الحضارة القتبانية منصب الكهانة[٢]. وعلى ذلك يبدو أن المرأة لعبت دوراً مهما في العقيدة وارتقت إلى أعلى المراتب وهي الكهانة بل وصلت إلى محظية المعبد أي ال خيديمتو في التعبير الأكادي[٣]. كما تضمن نقش عثر عليه في ناعط محفوظ حالياً بمتحف صنعاء الوطني عما عرف باسم السيدات الحالمات ربما تعبيراً عن الكاهنات المتعبدات الوسيطات بين المعبودة والمتعبد، وفي ارتباط بكونها كاهنة المعبودة الشمس وراعية ذات بعدن[٤].

كما عثر من خلال أعمال حفائر الأستاذ الدكتور عبد الرحمن الأنصاري في موقع قرية (الفاو)، مملكة كنده على تمثال نصفي من البرونز يمثل امرأة يمكن أن تكون المعبودة منيرفا، إلهة الحكمة عند الرومان، وهو في حالة جيدة. وقد عثر عليه شرق البرج الواقع إلى الشرق من السوق. وظهر في التمثال الذراع الأيمن ممدوداً للأمام بينما الكف والأصابع مبسوطة. وفيما يتعلق بالذراع الأيسر يبدو منثنيا والكف والأصابع مقبوضة تاركة ثقباً. ونافذاً مما يوحي بأنها كانت قابضة على شيء في يدها، وعلى الكتف الأيسر رداء يحتمل أن يصل إلى الركبتين، وعلى الرأس ما يشبه التاج أو الإكليل (شكل رقم ٤)[٥].

---

(١) يحيي، لطفي عبد الوهاب، **المرجع السابق**، ص ٩٥؛ صالح، عبد العزيز، **تاريخ شبه الجزيرة العربية في عصورها القديمة**، ص ١٦١؛ دلو، برهان الدين، **جزيرة العرب قبل الاسلام. التاريخ الاقتصادي- الاجتماعي- الثقافي والسياسي**، الجزء الثاني، الفارابي، ١٩٨٩م، ص ٢٩١.

(٢) مهران، محمد بيومي، **تاريخ العرب القديم**، ص ٢٥٦؛ علي، جواد، «أديان العرب قبل الاسلام»، **دراسات في تاريخ الجزيرة العربية، الكتاب الثاني: الجزيرة العربية قبل الاسلام**، الرياض، ١٩٨٤، ص ١١٥.

(٣) الشيبة، عبد الله حسن، «مكانة المرأة في اليمن القديم»، **دراسات في تاريخ الجزيرة العربية وحضارتها مهداه إلى الأستاذ الدكتور عبد الرحمن الأنصاري بمناسبة بلوغه سن السبعين عاما**، ص ١٠٦.

(٤) عبد الله، دينا، **الخطيئة والكفارة في الديانة اليمنية القديمة من الألف الأول قبل الميلاد حتى القرن الرابع الميلادي**، رسالة ماجستير (غير منشورة)، كلية الآثار، جامعة القاهرة، ٢٠١٣، ص ٧٠- ٧١.

(٥) دلو، برهان الدين، **المرجع السابق**، ص ٥٦؛ الأنصاري، عبد الرحمن، **قرية الفاو، صورة للحضارة العربية قبل الاسلام في المملكة العربية السعودية**، الرياض، ١٩٨٢م ، ص ٢٦.

ومن أبدع ما عثر عليه في جزيرة فيلكا تمثال صغير من الطين المحروق (تراكوتا) يمثل أفروديت يعود عهده إلى حوالي عام ٣٠٠ ق.م يعكس الابداع والجمال والاتساق والانسجام في ابراز الملامح وفي تقدير النسب بين الملامح وأعضاء الجسد (شكل رقم ٥)[١].

ولا يمكن لنا اغفال المصادر اللاهوتية في ارتباط بالإشارة لبعض الزوجات لأنبياء الله خاصة ما ارتبط بهاجر زوجة نبي الله إبراهيم الخليل عليه السلام وأم اسماعيل الأب الروحي للعرب الشماليين فيما يرتبط بأحداث الرحيل إلى مكة وترك إبراهيم لها بواد غير ذي زرع عند المسجد الحرام وسعيها بين الصفا والمروة وبئر زمزم الشهير في ارتباط بتلك الأحداث وشعائر الحج تالياً في التاريخ العقائدي بالمكان[٢].

وبالمثل يمكن الاستشهاد بقصة صفورة بنت رعوئيل التي تزوجها موسى عليه السلام من أرض مدين شمال الحجاز فقد كان لقيامها وأختها برعي قطيع الأسرة وسقايته عوضاً عن أبيهما الشيخ، ما يدل على الرضي بمشاركة البنات في العمل لصالح الأسرة، وما يعكس سداد رأي البنت في المجتمع العربي القديم من خلال توصيتها لأبيها من أن خير من يستأجر القوي الأمين[٣].

وقد بلغت المرأة في الحضارة اليمنية درجة عالية من التقدير والمكانة والاستقلالية في المجالات الدينية أيضاً حيث عثر في مملكة قتبان على نصب جنازي دفني عليه اسم امرأة متبوع بلقب فينتن أي قينة مما يرجح شغل المرأة للوظائف الادارية والدينية المتعلقة بالمعابد[٤]. وقد تبوأت المرأة عدداً من الوظائف في المعبد أهمها أنها كانت كاهنة عليا أو رشوة مؤنث رشو كما في النقوش، وبالتالي فقد كانت لها رئاسة دينية ودلالة على

(١) دلو، برهان الدين، **المرجع السابق**، ص ٥٩؛ **تقرير شامل عن الحفريات الأثرية في جزيرة فيلكا عام ١٩٥٨-١٩٦٣**، وزارة الارشاد والأنباء، مطبعة حكومة الكويت (د. ت)، ص ١٨، شكل ٢٤؛ دليل ادارة الآثار والمتاحف، وزارة الاعلام الكويتية، ١٩٨٩م، ص ٩١؛ ماثيسن (هانز ايريك)، **ايكاروس، المستوطنات الهيلينستية. الدمي الطينية**، ترجمة: د. غادة الحجاوي القدومي، الكويت، ٢٠٠٢م، ص ٩٧؛ شكل ٣١.

(٢) صالح، عبدالعزيز، **المرأة في النصوص والآثار**، ص ٣٢؛

Shaheen, A. «Middle Bronze I-[IIA-B] in the Northwest Arabia,» Journal of the Faculty of Archaeology XI (2007), pp. 55-58.

(٣) صالح، عبدالعزيز، **المرجع السابق**، ص ٣٣.

(٤) العريقي، منير عبدالجليل، المرجع السابق، ص ١١٠.

وجود سادنات بين رجال الدين[١]. ومن خلال قيامها بنفس الاختصاصات التي يقوم بها الرشو وهذا يدل على دينية ذلك المنصب بين الرجال والنساء أكثر من غيره[٢].

وتعددت نماذج عطاء وقربان من نساء كثيرات في نصوص الحضارة العربية الجنوبية مثلما انعكس من نقش على قاعدة تمثال برونزي فخم (بلغ ارتفاعه معها نحو ثلاثة أقدام) مثل السيدة برآت (أو برأه) من بيت رثدة (أو رثد ايل) من جماعة شحز القتبانية، عثر عليه في دار هدث لدى مدخل العاصمة السياسية تمنع مؤرخ من عهد وراو إيل غيلادن يهنعم بن شهر يجل يهرجب ملك قتبان من منتصف القرن الأول ق.م. وعكس النقش تقديمها لتمثال أنثوي من الذهب إلى معبودتها ذات حميم وعثتر يجل تقرباً ووفاءً وفقاً لما أوعز إليها من أجل عافيتها وسلامة مكانتها ومقامها[٣]. ويبدو وفقا لعبد العزيز صالح أنها كانت من كبريات كاهنات المعبود عم ربحو ووكيلة عم رب (ديمة)، ومن المعلنات للنبوءات المنسوبة إليه في معبده[٤].

ويعتبر هذا التمثال البرونزي من بين أهم معثورات بعثة ويندل فيليبس عام ١٩٥٢م في تمنع عاصمة الدولة القتبانية (هجر كحلان) ومعروض حالياً في متحف عدن. واعتبره البرايت أهم ما اكتشفته البعثة آنذاك. وكان للتمثال ملامح وجه سيدة جالسة على صخرة بطلعة أرستقراطية معبرة عن انتمائها لأسرة قتبانية نبيلة النشأة نعلم اسمها من النقش المدون على قاعدة التمثال باسم برعط، براءات كاهنة التنبؤات في معبد عم من عهد الملك ورويل غيلان يهنعم. ويلاحظ شعرها المجدول على الطريقة اليونانية التي عرفت في القرن الأول قبل الميلاد وبالمثل طريقة حياكة ثيابها اليوناني الطابع وتعابير الوجه الهيليني (شكل رقم ٦)[٥].

---

(١) شاهين، علاء الدين، «العقائد المبكرة في مراكز حضارات الساحل الغربي للخليج العربي وشبه الجزيرة العربية إلى القرن الثالث قبل الميلاد: دراسة أولية»، **مجلة كلية الآثار**، العدد الثاني عشر، (٢٠٠٧)، ص ٣٧٩.

(٢) العريقي، منير عبدالجليل، المرجع السابق ص ١١٠؛ علي، جواد، «أديان العرب قبل الاسلام»، **دراسات في تاريخ الجزيرة العربية، الكتاب الثاني: الجزيرة العربية قبل الاسلام**، الرياض، ١٩٧٩م، ص ١١٥؛ دلو (برهان الدين)، المرجع السابق، ص ٢٩١.

(٣) صالح، عبدالعزيز، **المرجع السابق**، ص ٣٥؛ ص ٨٣؛ شكل ١، ص ١١٣.

(٤) صالح، عبدالعزيز، **المرجع السابق**، ص ٣٥.

(٥) دلو، برهان الدين، **المرجع السابق**، ص ٥٣؛ فيليبس، ويندل، **المرجع السابق**، ص ص ١٩٢-١٩٣؛ صالح، عبدالعزيز، **المرجع السابق**، ص ٣٥؛ ص ٨٣؛ شكل رقم (١).

وللدلالة على عمق انخراط المرأة في الجانب الديني وتقلدها مناصب الكهانة العليا، كانت الكاهنات يتزوجن بالآلهة، فتذكر النقوش المعينية التي عثر عليها في شمال الجزيرة العربية أن طقوس قد أجريت بمناسبة زواج كاهنة بالإله عثتر، بالإضافة لتولي المرأة العربية مناصب الكهانة في المعابد والوظائف الأقل مكانة حيث سميت طائفة من النساء «بنات ال» في معبدي أمر و رصغم التابعين للإله أنباي في مملكة قتبان، ويرجح أنهن كرسن لخدمة المعبد، ولكن اختصاصاتهن غير واضحة[١].

إلى جانب ذلك وجدت نساء كن يقمن في المعابد ببعض الطقوس الدينية على غرار ما كان موجود في معابد بابل[٢]. وحفظت النقوش إشارة إلى عدد من النساء كن يوهبن للإله ويعملن كإماء في خدمة المتعبدين كان من بين أسمائهن تخبت، وتبا، تخبو، أمه، شمس، اختمو وبدر[٣]. ويذهب عبد العزيز صالح في تفسير آخر أنه يمكن قبول فكرة وهب الرجال لنساء لصالح المعبد بالفعل ليتنسكن فيه وفي خدمة معبوده أو أن هؤلاء كن نسوة تم الزواج بهن من قبل هؤلاء الرجال في رحلة الغربة عن الوطن، وأنهم حال العودة للوطن حرصوا على توثيق زيجاتهم في معبدهم الرئيسي وفقاً لشرائعهم وبما يستدر بركات معبودهم الأكبر[٤].

ثالثاً: مكانة المرأة اجتماعياً في حضارات شبه الجزيرة العربية:

كانت فرصة المرأة العربية لممارسة الحرف المختلفة أضيق منها بالنسبة للرجل في المجتمع العربي القديم وانصب همها في المقام الأول على رعاية شئون بيتها وأسرتها. وقد مارست بعض الحرف والصناعات خاصة الصناعات النسيجية وصنع الحصير. كما مارست الأعمال الطبية خاصة القبالة وختان الإناث[٥].

إضافة لذلك، نعلم ما ترتب للمرأة من حقوق مدنية في التملك، وكافة التصرفات العينية، وقبول الوصية وأمثالها بالنسبة للمقابر، جرت مثلها على الممتلكات العقارية

(١) العريقي، منير عبدالجليل، **المرجع السابق**، ص ١١٠.

(٢) العريقي، منير عبدالجليل، المرجع السابق، ص ١١٠؛ فخري، أحمد، **تاريخ الشرق القديم، اليمن من أقدم العصور حتى ظهور الاسلام**، دراسات في العالم العربي، القاهرة ، ١٩٥٨،ص ١٦٤

(٣) العريقي، منير عبدالجليل، **المرجع السابق**، ص ١١١.

(٤) صالح، عبدالعزيز، **المرجع السابق**، ص ٤١.

(٥) صقر، فايزة، **المرجع السابق**، ص ٢٧.

الدنيوية من أراضي ومزارع ومساكن في المجتمع النبطي. ورجح ذلك النصوص التي تعكس ملكية بعض النساء لمزارع وإبل وغيره، ففي النقوش اللحيانية التي وجدت في جبل عكمه بمنطقة العلا عثر على حوالي ٣٥ نقشاً لنساء يقدمن النذور للإله ذو غابة عما يملكن من أموال وأراضي ونخيل وإبل وما سوى ذلك[١].

ومن النصوص التي تشير إلى أحقية المرأة في التملك أيضا نص نبطي يرجع إلى عهد الملك الحارثة الرابع، محب شعبه (٩ق.م- ٤٠م) يفهم منه أنه كان للزوجة نصيبا مفروضا محددا في مقبرة شادها زوجها[٢]. وأيدت نصوص نبطية أخرى تمتع المرأة بإدارة مالية خاصة بها وأنه كان لها بالمثل ملكية خاصة النص من العام ٢٥ من عهد الملك الحارثة الرابع ربما يقابل العام ١٦ الميلادي يشير إلى الحق المشروع للمرأة في تقبل هبة المقبرة هبة خالصة تتيح لها أهمية التملك والاستغلال والأداء، وأقر لها بكامل الأهلية في إجراء شتى التصرفات القانونية لها[٣].

وكانت الرغبة في الانجاب وكثرة الأولاد من الدوافع التي دفعت الزوجة إلى تقديم الهدايا والنذور والقرابين إلى المعابد ومعبوداتها مثلما نعلم عن سيدة سبئية قدمت تمثالاً لمعبودها نذرته له ليهبها طفلاً، ويبقي حياة ولديها، مما يشير إلى رغبتها في كثرة الذرية، فلم تكتف باثنين، بل تمنت أن ترزق بأبناء آخرين[٤].

ويوجد نص سبئي آخر يشير إلى دعاء سيدة سبئية بأن تمنح ولداً ثانياً، كما قدمت سيدة من صرواح وزوجها إلى معبودتهما أربعة تماثيل ذهبية عرفانا بفضلها لإنجابها أربعة أطفال ولدا وثلاث بنات[٥]. ويشير ذلك إلى فرحة الأب والأم بالإناث مثل الولد الذكر. ويشير إلى هذا الأمر أيضا نص سبئي يشير إلى تقديم سيدة قرباناً لمعبودها إلمقه ليطيل حياة ابنها[٦].

(١) صقر، فايزة، المرجع السابق، ص ٢٧؛ أبو الحسن، حسين علي، **قراءة لكتابات لحيانية من جبل عكمة بمنطقة العلا، ط١، الرياض، مكتبة** الملك فهد الوطنية، ١٩٩٤م، ١٤١٨هـ.

(٢) سليم، أحمد أمين، **جوانب من تاريخ وحضارة الجزيرة العربية**، ص ٢٨٦؛ الذييب، سليمان بن عبد الرحمن، التاريخ السياسي للأنباط، الرياض، ١٤٣٢هـ / ٢٠١١م، ص ٤٥.

(٣) سليم، احمد أمين، **المرجع السابق**، ص ٢٨٦.

(٤) سليم، أحمد أمين، **المرجع السابق**، ص ٢٨٤؛ صالح، عبدالعزيز، **المرأة في النصوص والآثار العربية**، ص ٣٧،

(٥) سليم، أحمد أمين، **المرجع السابق**، ص ٢٨٤؛ صالح، عبدالعزيز، **المرجع السابق**، ص ٣٨.

(٦) سليم، احمد أمين، **المرجع السابق**، ص ٢٨٤.

وعبر فن النقش والنحت عن أهمية الأطفال في المجتمعات العربية مثلما انعكس في كتلة حجرية في متحف صنعاء حالياً، نحتها الفنان على هيئة سيدة تلتحف فوق ثوبها بعباءة، وقد ضمت إلى صدرها وليدها العاري بحنان بالغ. وعثر في قتبان على الجزء العلوي من لوحة يتجسد عليها شكل لامرأة ممتلئة الجسد والردفين ومرتدية ثوباً فضفاضاً تمسك بيدها اليسرى وليدها الذي وضعته على حجرها[١]. وحفظ لنا المتحف الوطني للآثار بصنعاء تمثال لامرأة تلبس ثوبا طويلاً ممسكة قطعة من البخور في اليد اليمنى، ومسرجة تقدمها للإله في اليد اليسرى[٢]، وبالمثل يحتوي المتحف أيضا على لوحة نقشت عليها صورة امرأة تحمل في يدها اليمنى وردة[٣].

وحفظت لنا النصوص من حضارات جنوب غرب شبه الجزيرة العربية من الحضارة الحضرمية شكلاً من أشكال الزواج الدبلوماسي الذي كان ما تنعكس الدلائل على وجوده أحياناً في بعض حضارات الشرق الأدنى القديم خاصة من مصر القديمة وبلاد الرافدين وبلاد الأناضول. حيث تشير مراسم التتويج للملك العزيليط الثاني (إلىازوس)، ملك بلاد البخور والطيب في كتاب الطواف حول البحر الاريثري في حصن أنود إلى مشاركة: عشر نساء من قرشتم ضمن العديد من الوفود الرسمية الأخرى آنذاك يفهم منها أن الاشارة النصية هنا فسرت بقبيلة قريش الواقعة على أحد أهم الخطوط التجارية بين بلاد اليمن جنوباً وبلاد الشام شمالاً، وإن ارتباط المصاهرة هنا لنساء من قبيلة قريش مع الحاكم الحضرمي بهدف تأمين العلاقات التجارية والمصالح الاقتصادية المتبادلة[٤].

ولعل من بين أهم النماذج الفنية من حضارات جنوب غرب شبه الجزيرة العربية، ذلك التمثال الأنثوي من الرخام المعرق الشفاف، الذي أطلق عليه عمال الحفائر الأثرية اسم مريم أو مريام، فاشتهرت به والذي عثر عليه في إحدى مقابر حايد بن عقيل في تمنع

(١) سليم، أحمد أمين، **المرجع السابق**، ص ٢٨٤.

(٢) نور الدين، عبدالحليم، **مقدمة في الآثار اليمنية**، منشورات جامعة صنعاء، ١٩٨٤، ص ١٢٦-١٢٧.

(٣) نور الدين، عبدالحليم، **المرجع السابق**، ص ١٢٧

(٤) شاهين، علاء الدين، **تاريخ الخليج والجزيرة العربية القديم**، ص ٢٢٦؛ مهران، محمد بيومي، **المرجع السابق**، ص ٢٤٠؛ سلامة، عواطف أديب، **قريش قبل الاسلام، دورها السياسي والاقتصادي والديني**، دار المريخ للنشر، الرياض، ١٩٩٤م، ص ٣٨.

من الحضارة القتبانية. يرجح تأريخه ما بين القرن الثاني إلى القرن الأول قبل الميلاد حيث انعقدت خصل شعرها خلف رأسها من نفس مادة الحجر بشكل مشابه للطريقة المصرية القديمة في العصر الهيلينستي واحتفظ محجرا عينيها بآثار التطعيم باللازورد على عادة كثير من تماثيل الجنوب، ومشابه أيضاً للتماثيل المصرية القديمة.عنقها طويل تحيط به قلادة، وأذناها مثقوبان ليتدلى، منهما قرطان (شكل رقم ٧)[١]. كما عثر المنقبون والرحالة على جملة من التماثيل في اليمن الجنوبية من بينها تمثال لشابة ناهدة من الرخام اسمها غابوم من عائلة هنامات كما هو مدون في أسفله. وقد وجد التمثال في مقبرة قديمة عند تمنع العاصمة القتبانية ويعود تأريخه إلى القرن الثاني أو الأول قبل الميلاد[٢].

ومن بين التماثيل المكتشفة في ظفار المصنوعة من البرونز امرأة وهي ترقص، وقد العراق. وقد أبدع صانع التمثال في عمله فجعله ينبض بالحياة، وقد ضيق خصر المرأة وجعل الساقين بعضهما فوق بعض، ليأخذ جسمها وضع راقصة وهي في حالة رقص[٣].

وعلى هذا عكست تلك الدلائل النصية والأثرية مكانة مميزة للمرأة في حضارات شبه الجزيرة العربية إلى القرن الأول قبل الميلاد، وأوضحت مشاركتها السياسية أحياناً في تصريف أمور الدولة وعن مكانة مميزة ضمن الاطار العقائدي أيضاً وبدون شك مرتبة اجتماعية ملموسة في المجتمعات بالمكان آنذاك.

(١) صالح، عبد العزيز، **تاريخ شبه الجزيرة العربية في عصورها القديمة**، ص ٨٤-٨٥؛ شكل ١٧ ب ص ٢٢٤؛ دلو، برهان الدين، **المرجع السابق**، ص ٥٢-٥٣.

(٢) دلو، برهان الدين، **المرجع السابق**، ص ٥٢.

(٣) دلو، برهان الدين، **المرجع السابق**، ص ٥٤؛ علي، جواد، **المفصل في تاريخ العرب قبل الاسلام**، ٨/ ٨٠.

اللوحات

(شكل رقم ١): تصوير المرأة كملكة على العملة النبطية

نقلا عن : صالح، عبد العزيز، المرأة في النصوص والآثار العربية القديمة، ص ٢٦، شكل رقم ٤٩

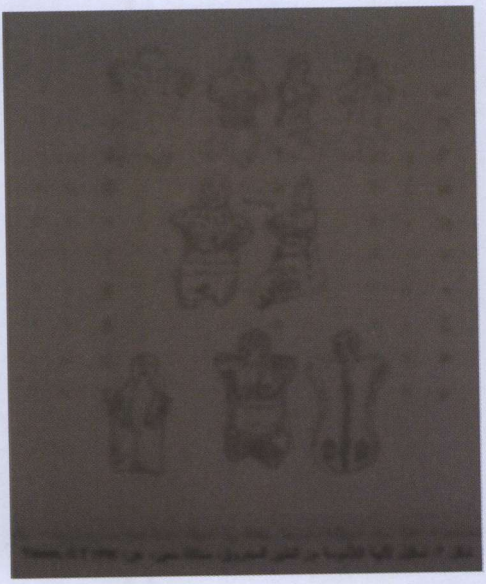

(شكل رقم ٢): تمثال تراكوتا والخصوبة من اليمن القديم

نقلا عن : العريقي، منير عبد الجليل، الفن المعماري والفكر الديني، ص ٣٧، شكل رقم ٣

(شكل رقم ٣) : تمثال تراكوتا للخصوبة من معبد برآن، اليمن

نقلا عن: العريقي، منير عبد الجليل، المرجع السابق، ص ٣٧، لوحة رقم ٥

(شكل رقم ٤) : تمثال نصفي لإمرأة ربما تمثل الالهة منيرفا، موقع الفاو، السعودية

نقلا عن : الأنصاري، عبد الرحمن، قرية الفاو صورة للحضارة العربية قبل الاسلام، ص ٢٦.

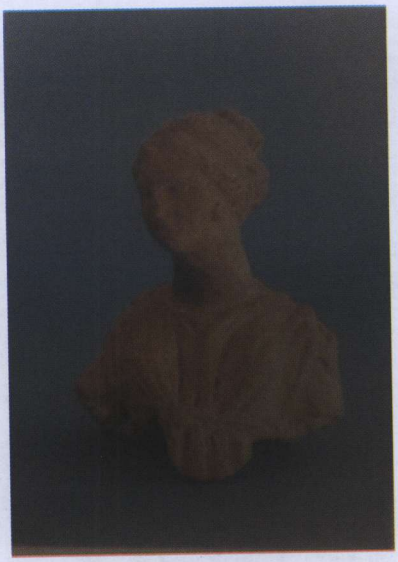

(**شكل رقم ٥**): تمثال من الطين المحروق (تراكوتا) يمثل أفروديت، جزيرة فيلكا، الكويت نقلا عن: تقرير شامل عن الحفريات الأثرية في جزيرة فيلكا عام ١٩٥٨-١٩٦٣، ص ٩١؛ دليل إدارة الآثار والمتاحف، وزارة الاعلام الكويتية، ١٩٨٩، ص ٩١

(**شكل رقم ٦**): تمثال أنثوي من البرونز للمدعوة برآت، حضارة قتبان اليمنية

نقلا عن: صالح، عبدالعزيز، **المرأة في النصوص**، ص ٣٥؛ شكل رقم ١

(**شكل رقم ٧**): تمثال أنثوي من الرخام للمدعوة مريام، حضارة قتبان، اليمن ،

صالح، عبدالعزيز، **تاريخ شبه الجزيرة العربية في عصورها القديمة**، القاهرة، ١٩٨٨، ص ٢٢٤؛ شكل ١٧ ب؛ صالح، عبدالعزيز، المرأة في النصوص والآثار، شكل ٤١ أ- ب